

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم ، فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه قط^(١) .

وقال بقیة بن الوليد : حدثنا بحير بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة قال : « إن من المزيد أن تمرَّ السحابةُ بأهل الجنة ، فتقول : ماذا تريدون أن أمطرکم ؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا »^(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أزهر بن مروان ، حدثنا عبدالله بن عبدالله الشيباني ، عن عبد الرحمن بن بديل ، عن أبيه ، عن صفی اليماني ، قال : سأله عبد العزيز بن مروان ، عن وفد أهل الجنة قال : إنهم يقدون إلى الله سبحانه كل خميس فيوضع لهم أسرة ، كل إنسانٍ منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه ، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال [الله] تعالى : أطعموا عبادي وخلقی وجیرانی ووفدي ، فيطعموا ثم يقول : أسقوهم . قال : فيأتون بآنية من ألوان شتى مجتمععة فيشربون منها . ثم يقول : عبادي وخلقی وجیرانی ووفدي قد طعموا وشربوا ، فكهوه ، فتجيء ثمرات شجر مدلاة . فيأكلون منها ما شاؤوا ، ثم يقول : عبادي وخلقی وجیرانی ووفدي قد طعموا وشربوا وفكها ، أكسوهم ، فتجيء ثمرات شجر أخضر وأصفر وأحمر ، وكل لون لم تنبت إلا الحلل ، فينشر عليهم حلاً وقمصاً ، ثم يقول : عبادي وخلقی

(١) تقدم ص ٣٣٨ ت (١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٠) بالفاظ متقاربة .

وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا وكسوا ، طَيَّبُوهم ، فيتناثَرُ عليهم المسلك مثل رُذاذِ المطر .

ثم يقول : عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا وكسوا وطَيَّبُوا لِاتِّجَلِينَ لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيَّ ، فَإِذَا تَجَلَّى لَهُمْ فَنظَرُوا إِلَيْهِ ؛ فَضَرَبَتْ وَجُوهُهُمْ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ : ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها ؟ فيقولون : ذلك أن الله جل ثناؤه تجلّى لنا فنظرنا إليه ، فنضرت وجوهنا .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا إسماعيل بن عياش ، قال حدثني ثعلبة بن مسلم ، عن أيوب بن بشير العجلي ، عن سُفي بن مَاتِعِ الأصبحي أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنَّجَبِ ، وَأَنَّهُمْ يُوْتُونَ فِي الْجَنَّةِ بِخَيْلٍ مَلْجَمَةٍ مَسْرُجَةٍ لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ ، يَرْكَبُونَهَا حَتَّى يَنْتَهَوْا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، فَيَأْتِيهِمْ مِثْلُ السَّحَابَةِ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، فَيَقُولُونَ : أَمْطَرِي عَلَيْنَا فَمَا يَزَالُ الْمَطْرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ فَوْقَ أَمَاثِهِمْ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا غَيْرَ مُؤَذِيَةٍ فَتَنْسِفُ كِتَابَانًا مِنْ مَسْكِ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ ، فَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ الْمَسْكَ فِي نَوَاصِي خَيْولِهِمْ وَفِي مَفَارِقِهَا وَفِي رُؤُوسِهِمْ ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَمَةٌ عَلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسَهُ ، فَيَتَعَلَقُ ذَلِكَ الْمَسْكَ فِي تِلْكَ الْجِمَامِ . وَفِي الْخَيْلِ وَفِيهَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ ، ثُمَّ يَقْبَلُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَإِذَا الْمَرْأَةُ تَنَادَى بَعْضُ أَوْلَادِكَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَا لَكَ فِينَا حَاجَةٌ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَنْتَ ، وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا زَوْجَتُكَ وَجِبَّتُكَ . فَيَقُولُ : مَا كُنْتَ عَلِمْتَ بِمَكَانِكَ ، فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ : وَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فَيَقُولُ : بَلَى وَرَبِّي فَلَعَلَّهُ يَشْتَغَلُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَرْبَعِينَ حَرِيْفًا ، مَا يَشْغَلُ عَنْهَا إِلَّا مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ » (١) .

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٩) .

فصل

وقد جعل الله سبحانه السحابَ وما يمطره سبباً للرحمة والحياة، في هذه الدار، ويجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم، حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش، فينبتون تحت الأرضِ كنبات الزرع، ويعثون يوم القيامة والسماء تَطشُ^(١) عليهم، وكأنه - والله أعلم - أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويشير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم، ما شاءوا من طيب غيره، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هودٍ وقوم شعيبٍ سحاباً أمطرهم عذاباً أهلكتهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب .

(١) الطش: المطر الضعيف، فوق الرذاذ.